

الضلال بتعليم الشرائع وغير ذلك من النعم ولم يراع الترتيب لتقديم حقوق العباد على حقه عز وجل فإنه سبحانه وتعالى غنى عن العالمين وقيل لتقديم التخليفة على التحلية أو للترقي أو لمراعاة الفواصل ونظر في كل ذلك وقال الطيبي الظاهر ان المراد بالسائل طالب العلم لا المستجد وعليه لامانع من كون التفصيل على الترتيب فيقال انه تعالى ذكر أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم على وفق الترتيب الخارجى بان يراد هدايته عليه الصلاة والسلام ما يعم توفيقه للنظر الصحيح في صباه فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم موفقاً لذلك ولذا لم يعبد عليه الصلاة والسلام صنماً أو يراد باغثائه ما كان بعد البعثة ثم فصل سبحانه على ذلك الترتيب فجعل عدم قهر اليتيم في مقابلة إيوائه تعالى له عليه الصلاة والسلام في يتمه وعدم زجر السائل طالب العلم والمتعلم منه في مقابلة هدايته له والتحدث بالنعمة في مقابلة الغنى وان كانت النعمة شاملة له ولغيره وآثر سبحانه فحدث على غير قيل ليكون ذكر النعمة منه عليه الصلاة والسلام حديثاً لا ينسأه ويوجده ساعة غيب ساعة والله تعالى أعلم وندب التكبير عند خاتمة هذه السورة الكريمة وكذا ما بعدها الى آخر القرآن العظيم فقد أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن البزى المقرئ قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسماعيل بن قسطنطين فلما بلغت والضحي قال كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم فاني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت والضحي قال كبر حتى تختم وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فامر به بذلك وأخبره ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمره بذلك وأخبره ان أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أمره بذلك وأخبره ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمره بذلك وكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام فرحاً بنزول الوحي بعد تأخره وبطئه حتى قيل ما قيل هذا وعلى ذلك عمل الناس اليوم والحمد لله رب العالمين

سورة ألم لشرح

وتسمى سورة الشرح وهي كروى عن ابن الزبير وعائشة مكية وأخرج ذلك ابن الضريس والنحاس والبيهقي وابن مردويه عن ابن عباس وفي رواية عنه زيادة نزلت بعد الضحي وزعم البقاعي انها عنده مدنية وفي حديث طويل أخرجه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله ما هو ظاهر في ان قوله تعالى فيها قن مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً نزل بالمدينة لكن في صحة الحديث توقف وآيها ثمان بالاتفاق وهي شديدة الاتصال بسورة الضحي حتى انه روى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انها كانا يقولان هما سورة واحدة وكانا يقرآنهما في الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وعلى ذلك الشيعة كما حكاها الطبرسى منهم قال الامام والذي دعا الى ذلك هو ان قوله تعالى ألم لشرح كالمطلف على قوله تعالى ألم يجذبك يتيمها وليس كذلك لان الاول كان عند اغتمام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ايداء الكفرة وكانت الحالة حال محنة وضيق صدر والثانى يقتضى ان يكون حال النزول منشراح الصدر طيب القلب فأنى يجتمعان وفيه نظر والحق ان مدار مثل ذلك الرواية لا الدارية والمتواتر كونهما سورتين والفصل بينهما بالبسملة نعمهما متصلتان معنى جدا وبدل عليه ما في حديث الاسراء الذى أخرجه ابن أبي حاتم ان الله تعالى قال له عليه الصلاة والسلام يا محمد ألم أجذبك يتيماً فأويت وضالاً فهديت وعائلراً فاغثيت وشرحت لك صدرك وحططت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا ذكرت معي الحديث

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الشرح في الاصل الفسح والتوسعة وشاع استعماله

في الايضاح ومنه شرح الكتاب اذا اوضحه لما أن فسح الشيء وبسطه مستلزم لظهور باطنه وما خفي منه وكذا شاع في سرور النفس حتى لو قيل أنه حقيقة عرفية فيه لم يبعد وذلك اذا تعلق بالقلب كان قيل شرح قلبه بكذا أي سره به لما ان القلب كالمزول للنفس ويلزم عادة من فسح المنزل وتوسمته سرور النازل فيه وكذا اذا تعلق بالصدر الذي هو محل القلب وربما يؤذن ذلك بسعة القلب لما أن العادة كالمطرودة في أن توسعة ماحوالى المنزل انما تكون اذا كان المنزل واسما فيوسع ماحواليه لتحصيل زيادة بهجة ونحوها فيه فينتقل منه الى سرور النفس بالواسطة وقد يراد به اذا تعلق بالقلب أو الصدر أيضا تكثير ما فيه من المعلومات فقل يتخيل انها تحتاج الى فضاء تكون فيه وان ذلك محلها ففي كانت كثيرة اقتضت ان يكون محلها واسما ليسعها وقد يراد بها تكثير ما في النفس من ذلك فقل أيضا يتخيل أن تكثير معلوماتها يستدعى توسيعها وتوسيعها يستدعى توسيع ذلك لتزليله منزلة محلها وقد يراد به تأييد النفس بقوة قدسية وأنوار الهية بحيث تكون ميدانا لمواكب المعلومات ومنها لكواكب الملكات وعرشا لانواع التجليات وفرشا لسوائم الواردات فلا يشغله شأن عن شأن ويستوى لديه يكون وكائن وكان ووجه نسبه الى الصدر على نحو مامر وارادة القلب من الصدر والنفس من القلب بملافة المحلية ونحوها مما لا تميل اليه النفس وارادة كل بما ذكر بقرينة المقام والانصب بمقام الامتنان هنا ارادة هذا المعنى الاخير وجوز غيره فالمنى المفسح صدرك حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فاصدك الملابس بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقتك التعلق بمصالح الخلق عن الاسترقاق في شؤون الحق وقيل المعنى ألم تزل همك وغمك باطلاعك على حقائق الامور وحقارة الدنيا فهان عليك احتمال المسكاره في الدعاء الى الله تعالى ونقل عن الجمهور ان المعنى ألم انفسحه بالحكمة ونوسعه بتيسيرنا لك ناتي ما يوحى اليك بعد ما كان يشق عليك وعن ابن عباس وجماعة انه اشارة الى شق صدره الشريف في صباه عليه الصلاة والسلام وقد وقع هذا الشق على ما في بعض الاخبار وهو عند مرضته حليلة فقد روى عنها انها قالت في شأنه عليه الصلاة والسلام لم تزل تعرف من الله تعالى الزيادة والحير حتى مضت سنه وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبه الفلمان فلم يبلغ سنه حتى كان غلاما جفرا فقدما به على أمه ونحن احرص شيء على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لاه لو تركته عندنا حتى يلفظ فالا نخشى عليها وباه مكة فلم تزل بها حتى رده معنا فرجنا به فوالله انه ابعدهم مقدمنا به بشهر أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لني بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجماه وشقابهنه فخرجت أنا وأبوه نشد نحوهم فوجدناه قائما منتقما لونه فاعتنقه أبوه وقال أي بني ما شأنك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجماي فشقابطنى ثم استخر جامنه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجنا به معنا فقال أبوه يا حليلة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلق فرديه الى اهله قبل ان يظهره ما نتخوفه قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما ردك به فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى الاختلاف والاحداث فقالت ما ذاك بك فاصدقاني شانكا فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتها عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان فدعاه عندك وفي حديث لابي يعلى وأبي نعيم وابن عساكر ما يدل على تكرار وقوع ذلك له عليه الصلاة والسلام وهو عند حليلة وقد وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا بعد بلوغه صلى الله تعالى عليه وسلم ففي الدر المنثور أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن أبي بن كعب ان ابهريرة قال يارسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت أبا هريرة انى لنى صحراء ابن عشرين سنة وأشهر اذا بكلام فوق رأسى واذا رجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلانى بوجوه لم أرها بخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أجدها على أحد قط فأقبلا الى يمشان حتى اذا دنيا أخذكل واحد منهما بهضدى لا أجد لاخذها مسأفقال أحدهما صاحبه افلق صدره فهوى أحدها الى صدرى ففلقه فيمنأرى بلادم ولاوجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهية العلة ثم نبذها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذى أخرج شبه الفضة ثم حزا بهام رجلى اليمنى وقال اغدوا سلم فرجعت أغدوا بها رأفة على الصغير ورحمة على الكبير والذى رأيت فى شرح الهمزية لابن حجر المكي رواية هذا الخبر بلفظ آخر وفيه أنى لنى صحراء واسعة ابن عشر حجيج اذا أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه أهو هو الى آخر ما فيه فيكون الشق عليه قبل البلوغ أيضاً والله تعالى أعلم ثم انه على الروایتين ليس نصالى نبي وقوع شق قبله لجواز أن يكون الذى استشعر منه النبوة هو هذا لا ما قبله ووقع له عليه الصلاة والسلام أيضا عند مجيء جبريل عليه السلام بالوحى فى غار حراء ومن روى ذلك الطيالسى والحريث فى مستدبرهما وكذا أبو نعيم ولفظه أن جبريل وميكائيل عليهما السلام شقا صدره وغسلاه ثم قال اقرأ باسم ربك الآيات ووقع أيضا مرة أخرى تواترت بها الروايات خلافا لمن انكرها لئلا الاسراء به صلى الله تعالى عليه وسلم روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن سمصة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فأتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرحت صدرى الى كذا وكذا قال قتادة قلت يبنى لأنس ما تعنى قال الى أسفل بطنى قال فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حتى ايماناً وحكمة ثم أتى بدابة دون البقل وفوق الحمار البراق فانطلقت مع جبريل عليه السلام حتى أتينا السماء الدنيا الحديث وطعن القاضى عيد الجبار فى ذلك بما حاصله انه يلزم على وقوعه فى الصغر وقبل النبوة تقدم المعجزة على النبوة وهو لا يجوز ووقوعه بعد النبوة وان لم يلزم عليه ما ذكر الا أن ما ذكر معه من حديث النسل وادخال الرأفة والرحمة وحشو الايمان والحكمة يرد عليه ان الغسل بما لا أثر له فى التكميل الروحانى وانما هو لازالة أمر جسمانى وانه لا يصح ادخال ما ذكر وحشوه فأما هو شىء يخلفه الله تعالى فى القلب وليس بشىء فان تقدم الحارق على النبوة جائز عندنا ونسميه ارهاصا والاخبار كثيرة فى وقوعه له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة والغسل بالماء كان لازالة امر جسمانى ولا يبعد أن يكون ازالته وغسل المحل بماء مخصوص كما زمزم على ما صح فى بعض الروايات ولذا قال البلقينى انه أفضل من ماء الكون وموجبا لتبديل المزاج وهو عماله دخل فى التكميل الروحانى ولذا يامر المشايخ السالكين لديهم بالرياضة التى يحصل بها تبديل المزاج ويرشد الى ذلك تغير أحوال النفس واخلاقها صبا وكهولة وشيخوخة والمراد من ادخال الرأفة وحشو الايمان مثلا ادخال ما به يحصل كمال ذلك وكثيرا ما يسمى المسبب باسم السبب مجازا ويحتمل أن يكون على حقيقته ونجسم المعانى جازم وقال العارف بن أبى جرة كما فى المواهب اللدنية للسقلانى ما حاصله ان ما دل كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جوهريته وجسميته من أعيان المخلوقات التى ليس للعواس الى ادراكها سبيل هو كما دل عليه كلامه عليه الصلاة والسلام فى نفس الامر وان الحكم من التكميل أو نحوه عليها بالمرضية انما هو باعتبار ما ظهر له بمقله وللمقل حد يقف عنده والحقيقة فى الحقيقة ما دل عليه خبر الشارع المؤيد بالوحى الالهى والنور القدسى المخلق بجناحيهما فى جو الحقائق الى حيث لا يسمع لنحلة العقل دندنة ولا المرواة عنه عنفة فالإيمان والحكمة ونحوهما مما دل عليه كلام النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم على جوهريتها جواهر محسوسة لامعان وان حسبها من حسبها كذلك انتهى
والامر فيه اعتقاداً وانكاراً اليك ولا ألزمت الاعتقاد فما أريد ان أشق عليك وقال بعض الاجلة لعل
ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيراً كما مثل له عليه الصلاة والسلام الجنة والنار في عرض
حائط مسجده الشريف وقائده كشف المعنوي بالمحسوس وهو ميل الى عدم الوقوع حقيقة وقد قال غير
واحد جميع ما ورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقاً للمادة ولا يجوز
تأويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة في تأويلهم نصوص سؤال المنكبين وعذاب
القبر ووزن الاعمال والصراف وغير ذلك بالنشهي وأما حكمة ذلك مع امكان ايجاد ما ترتب عليه بدونه
فقد أطالوا الكلام في بيانه في موضعه نعم حمل الشرح في الآية على ذلك الشق ضعيف عند المحققين
والتصريح عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكارى عن انتفائه للايدان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر
أحد ان يجيب عنه بغيره الى اسناد الفعل الى ضمير العظمة للايدان بعظمته وجلالة قدره وزيادة الجار
والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايدان من أول الامر بأن الشرح من منافعه عليه
الصلاة والسلام ومصلحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وتشويقاً
له عليه الصلاة والسلام الى ما يقبضه ليعلم عند وقت وروده فضل تمكن وقرأ أبو جعفر المنصور أن شرح
بفتح الحاء وخرجه ابن عطية وجماعة على أن الاصل ألم نشرحن بنون التأكيده الخفيفة فأبدل من النون الفا
ثم حذفها تخفيفاً كما في قوله

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

ولا يخفى ان الحذف هنا ضعف مما في البيت لان ذلك في الامر وهذا في النفي ولهذا روى ابن جنى في المنتقى عن
أبي مجاهد انه غير جائز اصلاً فنون التوكيد أشبه شيء به الاسهاب والاطناب لا الايجاز والاختصار والبيت يقال
انه مصنوع والاولى في التمثيل ما انشده ابو زيد في نوادره

من اى يومى من الموت افر * ايوم لم يقدر ام يوم قدر

وقال غيره واحده لعل ابا جعفر بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها وفي البحران لهذه القراءة تخريجاً
أحسن مما ذكر وهو ان الفتح على لغة بعض العرب من النصب يلم فقد حكى اللحياني في نوادره أن منهم
من ينصب بها ويجزم بلن عكس المعروف عند الناس وعلى ذلك قول عائشة بنت الاعمى تدح المختار بن ابي عبيد
في كل ما هم أمضى رأيه قدما * ولم يشاور في الامر الذي فعلا

وخرجها بمضمهم على ان الفتح لمحاورة ما بمدّها كالكسر في قراءة الحمد لله بالجرح وهو لا يتأتى في بيت
عائشة ويتأتى فيما عداها مما مر وقوله تعالى ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ عطف على ما أشير
اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنك صدرك ووضنا الخ وعنك متعلق بوضنا وتقديمه
على المفعول الصريح لما مر من القصد الى تمجيد المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع
طول فتأخير الجار والمجرور عنه محل بتجاوب اطراف النظم الكريم والوزر الحمل الثقيل أى وحططنا عنك
حملك الثقيل ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أى حملة على النقيض وهو صوت الانتفاض والانفكاك أعنى
الصرير ولا يختص بصوت المحامل والرجال بل يضاف الى المفاصل فيقال نقيض المفاصل ويراد صوتها
فنقيض الظهر ما يسمع من مفاصله من الصوت لتقل الحمل وعليه قول عباس بن مرداس
وأنقض ظهري ما تطويت منهم * وكنت عليهم مشفقاً متحنناً

واسناد الانقاص للحمل اسناد للسبب الحامل مجازا والمراد بالحن المنقض هنا ما صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البثمة مما يشق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم تذكره لكونه في نظره العالى دون ما هو عليه عليه الصلاة والسلام بمد أو غفلته عن الشرائع ونحوها مما لا يدرك الا بالوحي مع تطلبه صلى الله تعالى عليه وسلم له أو حبه عليه الصلاة والسلام في بعض الامور كاداء حق الرسالة أو الوحي وبلقيه فقد كان ينقل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في ابتداء أمره جدا أو ما كان يرى صلى الله تعالى عليه وسلم من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم لعدم طاعتهم له واذعابهم للحق أو ما كان يرى من تمديهم في ابدانهم عليه الصلاة والسلام أو حبه عليه الصلاة والسلام من وفاة أبى طالب وخديجة بناء على نزول السورة بمد وفانها ويراد بوضعه على الاول مغفرته وعلى الثاني ازالة غفائه عليه الصلاة والسلام عنه بتعليمه اياه بالوحي ونحوه وعلى الثالث ازالة ما يؤدي للحيرة وعلى الرابع تيسيره له صلى الله تعالى عليه وسلم بتدريبه واعتياده له وعلى الخامس توفيق بعضهم للاسلام كحزمة وعمر وغيرها وعلى السادس تقويته صلى الله تعالى عليه وسلم على التحمل وعلى السابع ازالة ذلك برفعه الى السماء حتى لقيه كل ملك وحياء وفوزه بمشاهدة محبوبه الاعظم ومولاه عز وجل وأياما كان في الكلام استمارة تمثيلية والوضع ترشيح لها وليس فيه دليل لنا في الصمة كما لا يخفى واختار أبو حيان كون وضع الوزر كناية عن عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن الذنوب وتطهيره من الأدناس عبر عن ذلك بالوضع على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك كما يقول الله عز وجل رفعت عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر منه زيارة على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه له والتمثيل عليه بحاله على ما قيل وقيل المراد وزر أمتك وإنما أضيف اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لاهتمامه بشأنه وتفكره في أمره والمراد بوضعه رفع غائلته في الدنيا من المذاب العاجل مادام صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم وما داموا يستغفرون فقد قال سبحانه وما كان الله ليهنهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ولا يخفى بمد هذا الوجه وقرأ أنس وحططنا وحللتنا مكان وضمنا وقرأ ابن مسعود وحللتنا عنك وذكرك (ورفعنا لك ذكرك) بالنبوة وغيرها وأي رفع مثل ان قرن اسمه عليه الصلاة والسلام باسمه عز وجل في كلتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخالطه بالالقباب كيا أيها المدثر يا أيها المزمحل يا أيها النبي يا أيها الرسول وذكره سبحانه في كتب الاولين وأخذ على الانبياء عليهم السلام وأمرهم ان يؤمنوا به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عن مجاهد وقتادة ومحمد بن كعب والضحاك والحسن وغيرهم انهم قالوا في ذلك لا أذكر إلا ذكرت معى وفيه حديث مرفوع أخرج ابو يعنى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنانى جبريل عليه السلام فقال ان ركب يقول أنتدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله تعالى أعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى وكان ذلك من الاقتصار على ما هو اعظم قدراً من افراد رفع الذكر ويشير الى عظم قدره قول حسان

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهود يلوح ويشهد

وظم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الحس المؤذن أشهد

ولا يخفى لطف ذكر الرفع بمد الوضع والكلام في العطف وزيادة لك كالذى سلف والفاء في قوله عز وجل (فإن مع العسر يسرا) على ما في الكشف فصيحته والكلام وعده صلى الله تعالى عليه وسلم مسوق للتسليمة والتفيس قال كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى ذهنه الشريف عليه الصلاة والسلام انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره سبحانه ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال تعالى شأنه ان مع العسر يسراً كانه قال سبحانه خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله تعالى فان مع العسر الذي أنتم فيه يسراً وهو ظاهر في ان أل في العسر للعهد وأما التووين في يسراً فللتفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسراً عظيماً وأى يسر والمراد به ما يسر لهم من الفتح في أيام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو يسر الدنيا مطلقاً وقوله تعالى (**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**) يحتمل أن يكون تكريراً للجملة السابقة لتقرير معناها وفي النفوس وتمكينها في القلوب كما هو شأن التكرير ويحتمل ان يكون وعداً مستأنفاً وال والتووين على ما سبق بيد ان المراد باليسر هنا ما يسر لهم في أيام الخلفاء أو يسر الآخرة واحتمال الاستئناف هو الراجح لما علم من فضل التأسيس على التأكد كيف وكلام الله تعالى محمول على أبلغ الاحتمالين وأوقاها والمقام كما تقدم مقام التسلية والتفيس والاستئناف نحوي وتجرده عن الواو أكثر من ان يحصى ولا يحتاج الى بيان نكتة لانه الاصل وقال عصام الدين لا يبعد ان تكون نكتة الفصل كونه في صورة التكرير فاحفظه فانه من البدائع وتمقب بنحو ما ذكرنا وكان الظاهر على ما سمت من المراد باليسر تعريفه الا انه أوثر التنكير للتفخيم وقد يقال ان فائدته الظهور في التأسيس لان النكرة المعادة ظاهراً التغير والاشعار بالفرق بين العسر واليسر ويظهر مما ذكر وجه ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي عن الحسن قل خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام فرحاً مسروراً وهو يضحك ويقول ان يغلب عسر يسرين ان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً وافاد بعض الاجلة ان الكلام تقرير لما قبله وعدة له صلى الله تعالى عليه وسلم بتيسير كل عسر فالفاء قيل سببية ودخلت على السبب وان تعارف دخولها على السبب لتسبب ذكره عن ذكره فان ذكر أحدها يستدعي ذكر الآخر وال في العسر للاستعراق فيدخل فيه سبب النزول والتووين في يسراً على ما سبق كأنه قيل فعلنا لك كذا وكذا لان مع كل عسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر والجمل يسراً عظيماً كالشرح والوضع ورفع الذكر فلا تيأس من روح الله تعالى اذا عراك ما يغمك وقال بعضهم الفاء للتفريع وهو من قيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئى على الكلى وذلك كما نقول اما ترى الى الانسان والفرس والغنم كلها تحرك الفك الاسفل عند المضغ فاعلم بذلك ان كل حيوان يفعل كذلك فتدبر وفي الجملة الثانية الاحتمالان السابقان والاستئناف ايضاً هو الراجح لما تقدم وعلى اتحاد العسر وتعدد اليسر يكون الحاصل من الجملة ان مع كل عسر يسرين عظيمين والظاهر ان المراد بذئبك اليسرين يسر دنيوى ويسر اخروى وقيل الظاهر ان الجملة الثانية تكرير للاولى وتأكيدها فاليسر فيها عين اليسر في الاولى كما ان العسر كذلك والكلام نظير قولك ان مع الفارس رحماً ان مع الفارس رحماً وهو ظاهر في وحدة الفارس والرمح ولن يغلب عسر يسرين ليس نصافى الحمل على الاستئناف إذ يصح على التأكيذ ايضاً بان يكون مبني على كون التووين في يسراً للتفخيم لحمل لقوة الرجاء على يسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة ويشهد لذلك انه ليس في مصحف ابن مسعود الجملة الثانية مع انه جاء عنه ايضاً لن يغلب عسر يسرين وقيل يمكن أن يحمل الخبر على انه لن يغلب فرد من أفراد العسر ذكر اليسر مرتين وتكريره في مقام الوعد وهو كما ترى والمشهور على جميع الأوجه انه شبه التقارب بالتقارن فاستير لفظ مع لمعنى بعد وذلك للمبالغة في معاقبة اليسر والعسر وانصاله به واستشكال أمر الاستعراق بان من العسر ما لا يعقبه يسر دنيوى كالفقر والمرض الدائم الى الموت ولا أراك ترضى القول بان الموت يسر دنيوى وان من العسر

مالا يعقبه يسر أخروي أيضا كعسر الكافر والجواب بان الحكم بالنسبة للمؤمنين كما يقتضيه مقام التسلية والتنفيس ويشعر به ما رواه مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر رضى الله عنه أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن شدة يجعل الله تعالى بعده فرجا ولن يغلب عسر يسرين لا يحسم الاشكال اذ يبقى معه ان من عسر المؤمن مالا يعقبه يسر دنيوى كما هو ظاهر بل منه مالا يعقبه يسر أخروي أيضا وذلك كعسر المؤمن الجازع فإنه لا يثاب عليه في الآخرة والظاهر من اليسر الاخرى هو الثواب فيها على ذلك العسر واردة المؤمن الصابر يبقى معها ان من عسره أيضا مالا يعقبه اليسر الدنيوى وأجاب بمض على وجه التأكيد بان الاستغراق عرفى ويكفى فيه ان العسر فى الغالب يقبه يسر وعلى وجه التأسيس بهذا مع كون الحكم بالنسبة للمؤمن الصابر وآخر بان الحكم مشروط بعيشته تعالى وان لم تذكر قيل ويشمر بذلك ما أخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة فى الآية قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشر بهذه الآية أصحابه فقال عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر ان شاء الله تعالى يسرين ويفهم من كلام بعض الافاضل انه يجوز على وجه التأكيد ان يكون مع على ظاهرها والتونين فى يسر الله ونية ولا اشكال فى الاستغراق اذ لا يخلو امره فى حال العسر عن نوع من اليسر وأقله دفع ما هو أعظم مما أصابه عنه ويجوز أن يكون التونين للتفخيم أيضا ويكون اليسر العظيم المقارن للعسر هو دفع ذلك الاعظم وما من عسر الا وعند الله تعالى أعظم منه وأعظم وانه لا يابى ذلك لن يغلب عسر يسرين اما لان المعنى لن يغلب فرد من أفراد العسر ذكر اليسر مرتين فى مقام التسلية أو لان الآية أفادت ان مع العسر يسرا وقد علم ان بعده آخر على ماجرت به العادة. الغالبة أو فهم من قوله تعالى سيجهل الله بمد عسر يسرا ان كان نزوله متقدما وذكر بعضهم أن المعية على حقيقتها عند الخاصة على معنى ان كل مافى المحبوب محبوب كما يشير اليه قول الشيخ عمر بن الفارض قدس سره وتمذيبكم عذب لمدى وجوركم ❦ على بما يقضى الهوى لكم عدل

وقول الآخر برجا نم أزوه رجسه رسد جاي منت است

كدناوك جفاست وكر خنجر سستم

وتسمية ذلك عسرا لانه فى نفسه وعند العامة كذلك لا بالنسبة الى من أصابه من المحيين المستعذبين له والكل كما ترى ثم انه بعد ارادة المعية الحقيقية ما أخرجه الزار وابن أبى حاتم والطبرانى فى الاوسط والحاكم والبيهقى فى الشعب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالساً وحياه حجر فقال عليه الصلاة والسلام لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فاتزل الله تعالى ان مع العسر يسرا الخ ولفظ الطبرانى وتلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان مع العسر يسرا واردة العهد اسلم من القيل والقال وكان من اختاره لذلك مع الاستئناس له بسبب النزول لكن الذى يقتضيه الظواهر ومقاماتها الخطابية الاستغراق فاذا قيل به فلا بد من التقييد بكون من أصابه العسر وانفا بالله تعالى حسن الرجاء به عز وجل منقطعا اليه سبحانه أو بنحو ذلك من القيود فتدبر والله تعالى الميسر لسكل ما يتعسر وقرأ ابن وثاب وأبو جعفر وعيسى العسر ويسرا فى الموضعين بضم السين (فاذا فرغت) أى من عبادة كتبليغ الرضى (فانصب) فانهب فى عبادة أخرى شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الأتفة كأنه عز وجل لما عدد عليه ما عدد ووعده صلى الله تعالى عليه وسلم بما وعد بعه على الشكر والاجتهاد فى العبادة وان لا يخلى وقتنا من أوقاته منها فاذا فرغ من

عبادة أتبعها بأخرى (وَإِلَى رَبِّكَ) وحده (فَارْتَعِبْ) فأحرص بالسؤال ولا تسأل غيره تعالى فإنه القادر على الاسعاف لا غيره عز وجل وأخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس انه قال أى اذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء وروى نحوه عن الضحك وقتادة وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود أى اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وعن الحسن أى اذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم نحوه وأخرج ابن نصر وجماعة عن مجاهد أى اذا فرغت من أسباب نفسك وفي لفظ من دنياك فصل وفي رواية أخرى عنه نحو ما روى عن ابن عباس والانصب حمل الآية على ما تقدم وأما قول ابن عباس ومن معه فهو تخصيص لبعض العبادات فراغاً وشغلاً مثلاً لا أن اللفظ خاص وهو الاظهر وكذا يقال فيما روى عن ابن مسعود وما لأن الصلاة أم العبادات البدنية والدعاء مخ العبادة فهماها وقول الحسن فيه ما شاع من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم رجعتنا من الجهاد الاضمر الى الجهاد الاكبر وهو قريب الا أنه قيل عليه أن السورة مكية والامر بالجهاد بعد الهجرة ولعله يقول بمدنيها أو مدنية هذه الآية أو انها مما تأخر حكمه عن تزوله كآيات أخر وقول مجاهد نظر فيه الى ان الفراغ أكثر ما يستعمل في الخلو عن الاشغال الدنيوية كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اغتتم فراغك قبل شغلك وهو أضغف الاقوال لبعده عما يقتضيه السياق وتؤذن به الفاء وقال عصام الدين لاسب ان يراد فاذا فرغت من يسر فانصب بعسر آخر طلباً لليسرين فاذا كنت كذلك فكأن راغماً الى ربك يعنى لا تتحمل عسر الدنيا طمعا في يسرين فيها بل تحمل عسر طلب الرب وقربه جل شأنه لليسرين انتهى ولمعنى أنه خلاف ما يفهمه من لا سقم في ذهنه من اللفظ. وأشهرت الآية بأن اللائق بحال العبد أن يستغرق أوقاته بالعبادة أو بأن يفرغ الى العبادة بعد أن يفرغ من أمور دنياه على ما سمعت من قول مجاهد فيها وذكروا ان قوموا الرجل فارغاً من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وعن عمر رضى الله تعالى عنه انى لا كره ان أرى أحداً فارغاً ساهلاً لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته وروى أن شريكاً من برجلين يصطرعان فقال ما بهذا أمر الفارغ وقرأ أبو السكك فرغت بكسر الراء وهي لغة قال الزحشمى ليست بفصيحة وقرأ قوم فانصب بشد الباء مفتوحة من الانصباب والمراد فتوجه الى عبادة أخرى كل التوجه ونسب الى بعض الامامية أنه قرأ فانصب بكسر الصاد فقييل أى فاذا فرغت من النبوة فانصب عليك للامامة وليس في الآية دليل على خصوصية المفعول فللسنى ان يقدره أبا بكر رضى الله تعالى عنه فان احتج الامامى بما وقع في غدير خم منسج السنى دلالة على ما ثبت عنده على النصب وصحته على ما يرويه الامامى واحتج لما قدره بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس وقال انه أوفق باذا فرغت لما أنه صدر منه عليه الصلاة والسلام في مرض وفاته قيل وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بخلاف ما كان في الغدير فانه لا يظهر ان زمانه زمان فراع من النبوة ظهور كون زمان الامر كذلك وان رجع وقال المراد فاذا فرغت من الحج فانصب عليك وورد عليه أمر مكية السورة مع ما لا يخفى وقال في الكشف لو صح ذلك للرافضى لصح لناصبي ان يقرأ هكذا ويجمله أمراً بالنصب الذى هو بغض على كرم الله تعالى وجهه وعداوته وفيه نظر ومن الناس من قدر المفعول خليفة والامرفيه هين وقال ابن عطية ان هذه القراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن عالم وقرأ زيد بن على وابن أبى عتبة فرغب أمر من رغب بشد العين أى فرغب الناس الى طلب ما عنده عز وجل